معهود العرب في تفسير القرطبي
نماذج تطبيقية

إعداد الدكتورة
أسماء عبد العظيم محمد أحمد وشيحي

مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بني سويف – جامعة الأزهر

معهود العرب في تفسير القرطبي نماذج تطبيقية

أسماء عبد العظيم محمد أحمد وشيحي.
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات ببني سويف.
البريد الإلكتروني: AsmaaAbdelAzim.team.@azhar.edu.eg

الملخص:

تناول هذا البحث جانباً هاماً في تفسير كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، وهو (معهود العرب)، فقد أولى الإمام القرطبي اهتماماً كبيراً لهذا الجانب، واعتبره أحد المصادر الرئيسية لاستخلاص معاني الكلمات القرآنية.

ويهدف البحث إلى بيان ضرورة الاستدلال بمعهود العرب في فهم كتاب الله – جل وعلا – والتمثيل على استدلال أبرز المفسرين به.

وقسم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وقد اشتمل التمهيد على مطلبين: المطلب الأول: التعريف بالقرطبي وكتابه، والمطلب الثاني: المقصود بمعهود العرب، وجاء المبحث الأول: بعنوان مصطلح معهود العرب وأهميته في التفسير، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: المصطلحات التي يستخدمها العلماء في معهود العرب، والمطلب الثاني: مصطلح معهود العرب عند الإمام القرطبي، والمطلب الثالث: أهمية المعرفة بمعهود العرب في التفسير، والمبحث الثاني: في الأمثلة التطبيقية من خلال تفسير الإمام القرطبي، وخاتمة: تشتمل على أهم النتائج، والفهارس.

المنهج: سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي للتعريف بالقرطبي وبمكانة تفسيره، وكذلك المنهج الوصفي لتوضيح تعريف وأهمية الالتزام بمبدأ ضرورة معرفة معهود العرب والاستناد إليه لدى المفسرين، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي بحسب ما تقتضيه الدراسة في تتبع تطبيق هذا المبدأ عند الإمام القرطبي.

النتائج: توصلت من خلال بحثي إلى نتائج منها: إن معهود العرب له أثر بالغ الأهمية في مجال التفسير، وذلك بتوضيح المعنى، وإزالة اللبس عن السامع، والترجيح بين الأقوال، والرجوع إلى معهود العرب في القول لتفسير القرآن الكريم منهج سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون وأئمة التفسير، ومن خلال دراستي في هذا البحث ظهر استخدام القرطبي للتعبير عن معهود العرب بعدة مصطلحات.

التوصيات: توجيه الباحثين إلى المزيد من الدراسة في هذا المجال من خلال مراجع التفسير.

الكلمات المفتاحية: معهود – العرب – القرطبي _ القرآن – الألفاظ القرآنية.

The tradition of Arabs in interpreting cordoba as applied models

Asmaa Abdel-Azim Mohamed Ahmed Weshehe.
Department of interpretation and Quran sciences، Faculty of Islamic and Arabic studies، Girls، Benisuef، Al-Azhar university، Egypt.
E-mail: azhar.edu.eg@AsmaaAbdelAzim.team.

Summary:
This research dealt with an important aspect of the interpretation of the Jamis' book of the Quran provision of Imam al-cordoba (the traditional arab tradition)، the Cordoba imam took great interest in this aspect and viewed it as one of the main sources of the Quranic meaning.
The research is intended to demonstrate the necessity of using the Arab tradition to understand the book of god، and to represent it with the most prominent explanation.
The research section is divided into the following: and introduction، and preface which includes two requirements: the first requirement: the introduction of cordoba and his book، the second requirement: the Arabic institute، and two researches: the first research: entitled: the tradition of arabs and his importance to interpretation، and it contains three demands: the first demand: the terms used by scholars in the tradition of the arabs، the second demand: the term "arab tradition" in front or the cordoba، and the third demand: the importance of knowledge of the custom of the arabs in interpretation، and the second research: in applied examples through the interpretation of imam cordoba، and the conclusion: includes: the most important findings، and the catalogues.
Syllabus: In this paper، I took the historical approach to the definition of the cordovero and the position of its interpretation، the descriptive approach to the definition and importance of adhers to the principle of the necessity of knowing the customs of

the arabs and relying on them، and the inductive approach، as required bu the study، in tracking the application of this principle to the cordovero.

Findings: through my research، I came up with some results، including: the tradition of the arabs has very important effect on the interpretation of the Quran، which is to clarify the meaning، remove the suspicion of the listener and the difference between sayings، and to refer to the arab tradition of saying about the interpretation of Holy Quran، a method followed by the companions، the followers and imams od interpretation، and as I studied this research، I found the use of cordoba to ecpress the arab tradition in a variety of terms.

Recommendations: direct researchers to further study in this field through interpretative references.

Keywords: muhoud-the arabs- cordoba-the quran-quranic pronuciation.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي آتاه الله الفرقان، وعلمه الحكمة والبيان، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد...

فإن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، مما يعني أنه يتبع أسلوب العرب في استخدام الألفاظ وتفسير المعاني زمن نزوله، لذا يتم الاعتماد في فهم النصوص القرآنية على الأكثر استعمالاً بين العرب دون الاستخدامات النادرة أو القليلة، كما يؤخذ في الاعتبار الأساليب الأكثر فصاحة وبلاغة؛ وذلك لأن القرآن الكريم أفصح الكلام وأبلغ البيان، وقد نزل على أتقن اللغات وأفصحها وأشهرها، والذي نزل عليه هو سيدنا محمد – ﷺ – هو أفصح العرب، فلا يخرج عن ذلك كله.

ولا يجوز لأحد أن يُقدم على تفسير كتاب الله تعالى وهو يجهل المعرفة بأساليب العرب في كلامهم وطرق التعبير عن مقاصدهم، وبناءً على ذلك، فإن معهود العرب يعتبر مساعداً للمفسر في فهم كتاب الله – عز وجل – ومن أبرز المصادر التي تعين على التفسير الصحيح للقرآن الكريم.

ويُعد الإمام القرطبي من أشهر أئمة تفسير القرآن الكريم، وكتابه " الجامع لأحكام القرآن" من أشهر كتب التفاسير حتى أنه اشتهر باسمه فيما بعد وأصبح يُعرف باسم "تفسير القرطبي"، وهو كتاب جمع تفسير القرآن كاملاً، ووُصف بأنه من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، وهو من أفضل كتب التفسير التي تهتم بمعهود العرب،

وجاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على جهوده في هذا الصدد، راجية من الله التوفيق والسداد.

- الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع تتمثل فيما يأتي:

١- إن كتاب "الجامع لأحكام القرآن" يعد موسوعة علمية شاملة تستدعي منا الدراسة والتنقيب.

٢- تسليط الضوء على مكانة معهود العرب في الكشف عن معاني القرآن الكريم، وإيضاح مراد الله تعالى من آياته.

٣- التعرف على منهج القرطبي في توظيفه معهود العرب لتفسير النص القرآني.

- الدراسات السابقة:

لم أطلع على دراسات تتعلق بتفسير القرطبي في هذا الموضوع، فقد تعددت الرسائل فيه، إلا أن هذا لم يكن واحداً منها.

ولكن توجد دراسات تناولت معهود العرب، منها:

١- معهود العرب عند الإمام الشاطبي دراسة مصطلحية، لعبد الفتاح محمود إدريس وبلخير مراد، بحث منشور بمجلة البحوث والدراسات الشرعية – المجلد السادس – العدد التاسع والخمسون.

٢- عربية القرآن بين معهود العرب ومعهود القرآن، لبشرى باحي، بحث منشور بمجلة تدبر- العدد التاسع- السنة الخامسة- محرم١٤٢٢ه- أغسطس ٢٠٢٠م.

- منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي للتعريف بالقرطبي وبمكانة تفسيره، وكذلك المنهج الوصفي لتوضيح تعريف وأهمية الالتزام بمبدأ ضرورة معرفة معهود العرب والاستناد إليه لدى المفسرين، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي بحسب ما تقتضيه الدراسة في تتبع تطبيق هذا المبدأ عند الإمام القرطبي.

- إجراءات البحث:

١- إعداد ملخص تعريفي عن الإمام القرطبي وكتابه "الجامع لأحكام القرآن".

٢- جمع بعض الآيات القرآنية التي فسرها المؤلف مستشهداً على تفسيرها بمعهود العرب.

٣- توثيق النقول بنسبتها إلى مصادرها، مع الإشارة إلى التصرف فيها، إن تم التصرف في النص المنقول، وترجيح ما يمكن ترجيحه مع مراعاة التدرج في التوثيق من القديم إلى الأقدم، ثم الحديث، وترتيب المراجع حسب ذلك بالهامش.

٤- الاكتفاء بذكر بيانات المرجع الخاصة بجهة طبعه أو نشره، وتاريخ الطبعة، عند ذكره للمرة الأولى فقط.

٥- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في سورها بعد ذكر كل آية مباشرة.

٦- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٧- تخريج الشواهد الشعرية من مصادرها الأصلية، مع توضيح ما فيها من معاني غريبة.

٨- ترجمة الأعلام، وتوضيح ما يحتاج إلى توضيح في هامش الصفحات.

- خطة البحث:

تتكون الخطة من تقديم، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، كما يلي:

أما التقديم: فيشتمل على: مقدمة- أسباب اختيار الموضوع – منهج البحث – خطة البحث.

ثم التمهيد ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالقرطبي وكتابه الجامع لأحكام القران.

(اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، ومكانته العلمية ومؤلفاته،ووفاته،والتعريف بتفسيره)

المطلب الثاني: المقصود بمعهود العرب.

ثم المبحث الأول: بعنوان مصطلح معهود العرب وأهميته في التفسير، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المصطلحات التي يستخدمها العلماء في معهود العرب.

المطلب الثاني: مصطلح معهود العرب عند الإمام القرطبي.

المطلب الثالث: أهمية المعرفة بمعهود العرب في التفسير.

ثم المبحث الثاني: في الأمثلة التطبيقية من خلال تفسير الإمام القرطبي.

وأما الخاتمة: فتشتمل على: أهم النتائج.

ثم فهرس المراجع.

التمهيد

المطلب الأول

التعريف بالقرطبي وكتابه الجامع لأحكام القران (اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، ومكانته العلمية ومؤلفاته، ووفاته، والتعريف بتفسيره)

- اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح - بسكون الراء والحاء المهملة- الأنصاري الخزرجي ، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التفسير المشهور[1].

مولده ونشأته:

ولد – رحمه الله – في مدينة قرطبة من بلاد الأندلس، وقد رحل بعد سقوطها إلى مصر، واستقر فيها إلى أن توفي.

توجه القرطبي منذ صغره نحو دراسة العلوم الدينية والعربية بشغف وحب، بالإضافة إلى تعلمه للقرآن الكريم، وقد اكتسب ثقافة واسعة في مجالات الفقه والنحو والقراءات وغيرها على يد مجموعة من العلماء المشهورين[2]، وكان يعيش في تلك الفترة تحت رعاية والده الذي كان يعمل مزارعاً، واستشهد خلال مداهمة قام بها الغُزاة الذين احتلوا قرطبة، حيث وقعت مذبحة كبيرة في المدينة، وكان والد القرطبي من بين الضحايا في سنة ٦٢٧هـ[3].

---

(١)الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ٨٧/٢، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، طبقات المفسرين للداوودي، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي ٦٩/٢، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) الديباج المُذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ٣٠٨/٢ بتصرف،الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(٣) تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش٢٧٢/٤، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

مكانته العلمية ومؤلفاته

كان القرطبي – رحمه الله – إماماً بارعاً مُتبحراً في العلم، وقد أثنى عليه جمع من العلماء لفقهه، وكثرة علمه وزهده، وورعه، وعموم النفع بمؤلفاته، مما يدل على مكانته الرفيعة بين المفسرين.

قال عنه الذهبي: " إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله"(١).

وقال ابن فَرحُون في ترجمته له: " كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف"(٢).

وقد ترك القرطبي وراءه إرثاً علمياً عظيماً أسهم في إثراء المكتبة الإسلامية، يشهد على سعة اطلاعه، وعمق تفكيره، وشموليته المعرفية، من ذلك:

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.
- الأعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام.
- التذكار في أفضل الأذكار.
- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة.
- التقريب لكتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر.
- الجامع لأحكام القرآن، والمُبيِّن لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان.
- شرح كتاب التقصي بحديث الموطأ لابن عبد البر.
- قمع الحِرص بالزهد والقناعة، ورَد ذُل السؤال بالكف والشفاعة.

(١) تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف ٢٢٩/١٥، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

(٢) الديباج المُذهب ٣٠٨/٢ .

وفاته:

قضى القرطبي حياته في التعلم والعبادة والتصنيف، واستقر زمناً في مُنْية بني خُصيب (محافظة المنيا حالياً) بمصر، حتى توفي سنة (٦٧١هـ)، رحمة الله عليه[١].

التعريف بتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن

يعتبر تفسير القرطبي موسوعة في تفسير القرآن الكريم، لما جمع فيه – رحمه الله – من مختلف علوم القرآن واللغة والفقه، وغير ذلك من النكت والفوائد، سماه كتاب "الجامع لأحكام القرآن، والمُبيِّن لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان"، ونظراً لمكانة هذا التفسير والقيمة العلمية المتميزة لمؤلفه، فقد حظي الكتاب باهتمام المتلقين، وطبع عدة طبعات، وتلقاه عدد كبير من الباحثين بالدراسة والتنقيح، كما أثنى عليه العديد من العلماء.

قال الذهبي: " سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان؛ وهو كامل في معناه"[٢].

وقال ابن فَرحُون: " من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"[٣].

وقد حدد القرطبي منهجه في تفسيره ببيان أسباب النزول، وذكر القراءات واللغات ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، وتحديد أقوال الفقهاء مع مراعاة الأدلة دون تعصب لمذهبه المالكي، والاستشهاد بأشعار العرب وما هو معهود عندهم، ونقل عمن سبقه في التفسير، مع تعقيبه على ما نقل عنه.

---

(١) طبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقق: علي محمد عمر ٩٢/١، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦، ومعجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق ٢٣٩/٨، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام ٢٢٩/١٥.

(٣) الديباج المُذهب ٣٠٩/٢.

واستثنى العديد من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين والإسرائيليات، وذكر بعضها أحياناً، بالإضافة إلى التنبيه على انحرافات بعض المذاهب الفاسدة، سواء من دون تعقيب أو من خلال الرد عليها أحياناً أخرى(١).

وعلى الجملة، "يعتبر هذا التفسير من أنفع التفاسير وأفضلها في مجاله، فإن القرطبي – رحمه الله – في تفسيره هذا حُرٌ في بحثه، نزيهٌ في نقده، عفٌ في مناقشته وجدله، مُلِمٌ بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه وتكلَّم فيه"(٢).

(١) تفسير القرطبي ٣/١، مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان ٣٩٠/١، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي ٣٤١/٢،الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

المطلب الثاني

المقصود بمعهود العرب

المعهود في اللغة

(معهود) اسم مفعول مشتق من (عَهِدَ)، والعَهْد يشمل عدة معان منها: الوصية نحو قوله تعالى [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] [يس:٦٠]، والأمان كقوله تعالى [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] [البقرة:١٢٤]، والالتقاء والمعرفة يقال: هو قريب العهد به، والمعهود: الذي عُهِدَ وعُرِفَ[١]، ويعود أصله إلى الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به[٢].

المعهود في الاصطلاح

يعتبر المعهود بمعناه اللغوي الأصلي مصطلحاً لا يتجاوز حدوده اللغوية، فهو يشير إلى ما هو معتاد ومتعارف عليه من الأقوال والأفعال والأحوال[٣].

معنى العرب في اللغة

(عرب) مشتقة من الفعل (أَعْرَبَ وعَرَّبَ), يقال: أَعْرَبَ عنهُ لِسانهُ وعَرَّبَ أي أبان وأفصح[٤] .

---

(١) تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب٩٨/١،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ولسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ٣١٢/٣،الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، والقاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ٣٠٣/١،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ١٠٣/١، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ومقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ١٦٧/٤،الناشر: دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) الصحاح ٥١٦/٢، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار٥١٦/٢، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، وتاج العروس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين ٤٥٧/٨، الناشر: دار الهداية.

(٤) مقاييس اللغة ٢٩٩/٤, ولسان العرب ٥٨٨/١.

العرب في الاصطلاح

هي القبائل التي تكلم النبي – ﷺ– بلغتها العربية وذلك على تنوع لهجاتها، والاعتبار لحال كلامها، وبلغتها نزل القرآن، وهي تُنسب إلى يَعْرُب بن قَحْطان[١]، وهي أعرب الألسنة وأوضحها[٢].

والعرب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١– العرب البائدة فهم من قبائل ثمود وعاد وغيرهم، فهذه أمم عربية كانت موجودة ثم بادت قبل الإسلام، ولم يبق لها على الأرض نسل.

٢–العرب العاربة عرب أَقْحَاح، وهم ذرية يَعْرُب بن قَحْطان، فـ (يَعْرُب) هو جد العرب، ويسمى هؤلاء بالقحطانيين نسبة إلى يَعْرُب بن قَحْطان.

٣– العرب المستعربة، ليسوا عرباً في أصلهم، وإنما اكتسبوا العروبة، فإسماعيل هو ابن إبراهيم – عليهما السلام – وإبراهيم لم يكن عربياً.

ولكن إسماعيل اكتسب العربية من جهة قبيلة زوجته؛ لأنه أخذها من جُرْهُمَ، وجُرْهُمَ قبيلة عربية قحطانية، فأخذ منهم إسماعيل، فمَن وُلِدُوا من ذرية إسماعيل وزوجته التي من جُرْهُمَ يسمون عرباً مستعربة، ومنهم نبينا – ﷺ[٣].

تعريف معهود العرب باعتباره مركباً اضافياً

بِحَسَب التعريفات السابقة، فإن مصطلح (معهود العرب) هو ما حفظه العرب وما عرفوه من الألفاظ والعادات المتوارثة التي تشمل مختلف جوانب الحياة.

---

(١) يَعْرُب بن قَحْطان: هو يعرب بن قحطان بن عابر، أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها، وبنوه العرب العاربة، يقول رواة الأخبار في سيرته: ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه، ويقال: إنه هو وأبوه أول من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد أن دخلتها لغات الأمم الثانية، مات بصنعاء بعد أبيه بنحو ثلاثين عاماً. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي ١٩٢/٨، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لسيد محمود شكري الألوسي البغدادي، تحقيق: محمد بهجة الأثري ١١/١بتصرف، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٣١٤هـ.

(٣) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٩/١، السيرة النبوية، لعلي محمد محمد الصَّلَّابي ١٩/١بتصرف، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

فيشير مصطلح "معهود العرب" إلى العادات والأساليب اللغوية التي اعتاد عليها العرب وهي المقصودة بالدراسة، كما أنها تشمل العادات الاجتماعية التي تتعلق بحياة العرب وعاداتهم الاجتماعية.

المبحث الأول

مصطلح معهود العرب وأهميته في التفسير

المطلب الأول

المصطلحات التي يستخدمها العلماء في معهود العرب

لقد استخدم العلماء مصطلحات متنوعة لوصف مفهوم معهود العرب، فمنهم مَن يُسميه (كلام العرب) كما ذكر الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى [**وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ**] [البقرة:٢٦]، وأصلُ الفسق في كلام العرب: الخروجُ عن الشيء، يقال منه: فسقت الرُّطَبة إذا خرجت من قشرها، ومن ذلك سُمّيت الفأرةُ فُوَيْسِقة، لخروجها عن جُحرها، فكذلك المنافق والكافر سُمّيا فاسقيْن، لخروجهما عن طاعة ربهما(١).

وكذلك الإمام الماوردي في تفسير قوله تعالى [**فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**] [البقرة:١٨٢]، والجَنَف في كلام العرب هو الجَوْرُ والعُدُولِ عن الحق(٢).

وكذلك الإمام الواحدي في تفسيره لقوله تعالى [**وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**] [التوبة:٣٤]، ومعنى الكنز في كلام العرب الجمع، وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز، والمراد بهذا الكنز جميع المال الذي لا تؤدى زكاته(٣).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٤٠٩/١،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ٢٣٤/١،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ٤٩٢/٢، قدمه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

ويسميه بعض العلماء (لسان العرب) كما يقول الإمام أبوحيان في تفسيره لقوله تعالى [يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ] [المائدة:٤]، والطَّيِّبُ في لسان العرب يستعمل للحلال وللمستلذ(١).

وبعضهم يسميه (معهود كلام العرب) كما ذكر ذلك الإمام ابن عطية في سياق حديثه عن الحروف المقطعة " فينبغي إذا كان من معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويلتمس وجهه"(٢).

ويطلق عليه البعض اسم (عادة العرب)، كما أشار إليه الإمام الرازي عند تفسيره لقوله تعالى [وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ] [يونس:٩٣]،"أي منزلاً صالحاً مرضياً، وإنما وُصِفَ المُبَوَّأُ بكونه صِدقاً، لأن عادةَ العربِ أنها إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق تقول: رجل صدق، وقدم صدق"(٣).

ويسميه بعض العلماء (معهود الأميين)، كما قال الإمام الشاطبي: "إنه لا بُد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم"(٤).

وبالنظر إلى النصوص السابقة للعلماء نجد أنهم استخدموا عدة ألفاظ للتعبير عن مفاهيم الكلام عند العرب، وقد يضيفون (كلام) أو(لسان) أو(عادة) أو (معهود) إلى (العرب) في المواضع التي يبحثون فيها عن معنى محدد لكلمة في القرآن الكريم، ويتضح من هذه النصوص أنها تتفق تماماً مع المعنى اللغوي الذي تدل عليه، بحيث يكون معنى معهود العرب هو ما نطقوا به وعرفوه وحفظوه من كلامهم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل ١٧٩/٤،الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٢) المحرر الوجيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ٨٣/١،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة:الأولى - ١٤٢٢ هـ.

(٣) مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ٢٩٨/١٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٤) الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ١٣١/٢، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

المطلب الثاني

مصطلح معهود العرب عند الإمام القرطبي

لقد تنوعت عبارات الإمام القرطبي في تفسيره عندما استدل بمعهود العرب، حيث استخدم في بعض الأحيان لفظ (معهود لسان العرب)، وذلك كما ذكر في معرض حديثه عن أوجه إعجاز القرآن:" النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شي، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه: [وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ] [يس:٦٩]"[١].

هذا بالنسبة للنظم والإعجاز، بخلاف ما يرجع إليه المفسر من معهود العرب في معاني الكلمات وتفسيرها، وهذا ما عليه مدار البحث من خلال تفسير القرطبي.

وفي أحيان أخرى استخدم لفظ (كلام العرب) على حد قوله عند تفسير قوله تعالى [ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ] [البقرة:٢]،"والهدى في كلام العرب معناه الرشد والبيان ، أي فيه كشف لأهل المعرفة ورشد وزيادة بيان وهدى "[٢].

واستخدم أحياناً لفظ (عادة العرب) كما قال عند تفسير قوله تعالى[أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ] [البقرة:١٦].

"أَسند تعالى الربح إلى التجارة على عادة العرب في قولهم: رَبِح بَيعُك، وخَسِرت صفقتك، وقولهم: ليلٌ قائمٌ، ونهارٌ صائمٌ، والمعنى: ربحت وخسرت في بيعك، وقُمت في ليلك وصُمت في نهارك، أي فما ربحوا في تجارتهم"[٣].

ويتبين من هذا أن القرطبي اهتم بالرجوع إلى المفاهيم المألوفة عند العرب، وأن تفسير القرآن عنده يجب أن يتم وفقاً لما اعتاده العرب حتى يكون زيادة توضيحه وفهمه.

---

(١) تفسير القرطبي ٧٣/١.
(٢) المصدر السابق ١٦٠/١.
(٣) تفسير القرطبي ٢١١/١.

المطلب الثالث

أهمية المعرفة بمعهود العرب في التفسير.

القرآن الكريم نزل بلغة العرب مع أنه للناس كافة تكريماً لهم وللغتهم، قال تعالى: [إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] [يوسف:٢]، كما أن اللغة العربية تتمتع بمقومات البقاء، مما يجعلها أبقى اللغات السامية، وهي اللغة الوحيدة التي تستوعب العديد من المعاني القرآنية، بينما لا تستوعب اللغات الأخرى بعض هذه المعاني، لذلك كان مناسباً أن ينزل القرآن الكريم الذي يلبي احتياجات الناس جميعاً بقطع النظر عن اختلافاتهم بلغة العرب، وبالإضافة إلى ذلك، كان العرب أكثر الناس فصاحة، وكان لديهم معرفة خاصة في استخدام الألفاظ والتراكيب، ولذلك نجد أن العلماء قد استخدموا معهود العرب كأحد المصادر الأساسية للبحث عن معاني الألفاظ والتراكيب القرآنية.

"وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مُظْهِراً لِوحيه، ومُستودعاً لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقين أولاً لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة عَلِمَها: منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً، وأكثرها تحملاً للمعاني مع إيجاز لفظه"(١).

يقول الإمام الشافعي: "وإنما بدأت بما وصفتُ، من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره، لأنه لا يعلم من إيضاح جُمَل عِلم الكتاب أحد، جهِل سَعَة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجِماعَ معانيه، وتفرقَها، ومن عَلِمه انتفَت عنه الشُّبه التي دخلَت على من جهِل لسانَها"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٣٩/١، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٢) الرسالة، للشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد شاكر ٤٧/١، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر،الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

ويشير الإمام ابن قتيبة إلى أن فهم القرآن الكريم مبني على معرفة معهود العرب، فيقول: "وإنما يَعرِف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات"(١).

"فإن من القواعد والمبادىء الأساسية لِمن يريد أن يفهم القرآن أن يعرف أنه من جهة لسان العرب يُفهم، ولا سبيل إلى فهمه من غير هذه الجهة"(٢)، "إذ لم يخرج القرآن عن معهود العرب في لغتهم العربية من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة بل جاء كتاباً عربياً جارياً على مألوف العرب"(٣).

ويقول الإمام الطبري موضحاً أهمية الرجوع إلى معهود العرب: "فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد – ﷺ– لمعاني كلام العرب موافقةً، وظاهرُه لظاهر كلامها ملائماً، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فَضَلَ بها سائرَ الكلام والبيان"(٤).

ويقول الإمام الشاطبي في حديثه عن نزول القرآن الكريم:"إنه أُنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فُطِرت عليه من لسانها"(٥).

والاستدلال بمعهود العرب في التفسير هو المنهج الذي اتبعه الصحابة – رضوان الله عليهم – فإن لم يجدوا التفسير في كتاب الله – عز وجل – ولا في سنة رسول الله – ﷺ– اجتهدوا في فهمه مستعينين في ذلك بمعرفتهم بمعهود العرب، وأما ما يمكن أن يفهم بمجرد معرفة اللغة العربية فلم يحتاجوا في فهمها إلى

(١) تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ١٧/١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
(٢) الموافقات ١٠٢/٢ بتصرف.
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني ٣٠٣/٢، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.
(٤) جامع البيان ١٢/١.
(٥) الموافقات ١٠٣/٢.

الاجتهاد؛ وذلك لأنهم من أصل العرب ويعرفون لغتهم وأساليبهم في الكلام، ويعرفون جوانب البلاغة فيها.

وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: "إن من وجوه التفسير وجهاً تعرفه العرب من كلامها"[1].

وكذلك سار التابعون على منهج الصحابة – رضي الله عنهم – في فهم كتاب الله – جل وعلا – وفي هذ السياق، يقول مجاهد: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[2].

وبناء على ذلك يُعد معرفة معهود العرب أحد الأدوات الأساسية لفهم القرآن الكريم وتفسيره، ولا يمكن فهمه بشكل صحيح إلا عن طريق فهم اللغة التي نزل بها، ولذا يجب على المفسر أن يكون ملماً بشكل كامل بمعهود العرب.

(1) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٢١٧/٤،الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة:١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(2) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٩٢/١،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

المبحث الثاني

الأمثلة التطبيقية

– بعض الأمثلة المستخلصة لاعتماد القرطبي على معهود العرب في تفسير القرآن

المثال الأول: قال تعالى [صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ] [الفاتحة:٧].

يقول القرطبي: "قوله [وَلَا ٱلضَّآلِّينَ] الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سَنَنِ القصد وطريق الحق، ومنه: ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الماء أي غاب، ومنه: [أَءِذَا ضَلَلنَا فِي ٱلأَرضِ] [السجدة:١٠]، أَيْ غِبْنَا بالموت وصِرْنَا تُرَابًا، قال:

" أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الدِّيَارُ ... عَنِ الْحَيِّ الْمُضَلَّلِ أَيْنَ سَارُوا " (١).

وَالضُّلْضِلَةُ: حَجَرٌ أَمْلَسُ يُرَدِّدُهُ الماء في الوادي" (٢).

فلفظ (الضلال) في اللغة يدور حول معانٍ متعددة، منها: غاب وخفي وضاع، ومات وصار تراباً وعظاماً، ونسي وتحير وتردد(٣).

وسُمي الدفن إضلالاً في قوله تعالى [أَءِذَا ضَلَلنَا فِي ٱلأَرضِ] [السجدة:١٠]، لأن مآل الميت المدفون إلى أن تختلط عظامه بالأرض، فيضل فيها كما يضل السمن في الطعام(٤).

---

(١) البيت من (الوافر)، وهو بلا نسبة إلى قائله في خزانة الأدب ٥٢٨/٨، ومعنى الحي المضلل: أي الحي الذي غاب واضْمَحَل. خزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب ٥٢٨/٨، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت سنـ١٤١٨ـة هـ.

(٢) تفسير القرطبي ١٥٠/١.

(٣) تهذيب اللغة ٣٢٠/١١، القاموس المحيط ١٠٢٤/١.

(٤) الأساليب والإطلاقات العربية، لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ٤٦/١، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

والتعبير بأنه هو الذهاب عن سَنَنِ القصد وطريق الحق، موافق لمعناه اللغوي في كلام العرب، ويشتمل على المعاني المشتقة منه في القرآن الكريم.

وفي تفسير ابن كثير: "المراد بالضالين النصارى، بعد أن ذكر تفسير المغضوب عليهم باليهود، وذلك لأن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فَقدوا العمل، والنصارى فَقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى، لأن مَن عَلِم وترك استحق الغضب خلاف مَن لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم [**مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ**] [المائدة: ٦٠]، وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم[**قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ**] [المائدة: ٧٧]" [1].

وفي هذا السياق يُلاحظ أن القرطبي قد استند إلى أقوال العرب في توضيح معنى الضلال، مما يُسهم في توضيحه وتبيينه، وقد أورد بيتاً شعرياً لدعم هذا المعنى، دون ذكر اسم صاحبه، فالمراد به العدول عن الطريق المستقيم، طريق الحق.

وهذا يدل على أن الضالين ليس خاصاً بجماعة أو طائفة بعينها، وتخصيصهم بالنصارى مرجوح فهو خاص بكل من أخطأ وانحرف عن الصواب.

ويمكن القول بشكل عام أن لفظ الضلال يُطلق على النصارى وغيرهم، وذلك لأن كل مَن يخطيء في تحقيق الحق فإنه يعتبر ضالاً، حتى وإن كان ينتمي إلى

(1) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ٥٥/١ بتصرف، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون -بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

الإسلام، قال تعالى [وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا] [الأحزاب:٣٦]، والوسيلة التي تكشف عن ذلك هي السياق القرآني لمصطلح الضلال.

والمعنى: "أن الله – تعالى – أرشد المسلمين إلى طلب الهداية والتوفيق منه حتى يسيروا على الطريق المستقيم طريق الحق والعدل، فهو طريق الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والهداية، ولا شك أنهم غير من عرفوا الحق وابتعدوا عنه كفراً وعناداً أو جهلاً وضلالاً، فهؤلاء هم المغضوب عليهم الضالون عن طريق الهدى والسداد"(١).

المثال الثاني: قال تعالى [وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ] [البقرة:٤٢].

يقول القرطبي: " قوله تعالى **[بِٱلْبَٰطِلِ]** الباطل في كلام العرب خلاف الحق ومعناه: الزائل، **قال لَبيد**(٢): " **ألا كل شيء مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ**" (٣).

وبَطَلَ الشيء يَبْطُلُ بُطْلًا وبُطُولًا وبُطْلَانًا، ذَهب ضَيَاعًا وخَسَرًا، وأَبْطَلَهُ غَيْرُهُ، ويقال ذَهَبَ دَمُهُ بُطْلًا أَيْ هَدَرًا، والباطل الشيطان، والبَطَلُ الشجاع، سُمِّي بذلك لأنه يُبْطِلُ شَجَاعَةَ صَاحِبِهِ"، **قال النَّابِغَةُ**(٤):

---

(١) التفسير الواضح، للحجازي، محمد محمود ١١/١بتصرف،الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

(٢) لبيد: هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري، يكنى أبا عقيل، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام، ووفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويعد من الصحابة، وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً، وهو أحد أصحاب المعلقات، جُمع بعض شعره في ديوان صغير، ترجم إلى الألمانية.الأعلام للزركلي ٢٤٠/٥، معجم المؤلفين ١٥٢/٨.

(٣) البيت من (الطويل) للبيد بن ربيعة في ديوانه، تحقيق: حمدو طماس صـ١٨٥، الناشر: دار المعرفة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، هذا صدر بيت وتمامه: وكلُّ نعيمٍ لا مَحالة زائِلُ، وهو من قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر، ومعنى البيت: كل شيء في هذه الحياة صائر إلى زوال، ولا يبقى إلا الواحد الديان، وكل نعيم في هذه الدنيا سيغدو أثراً بعد عين، فليعتبر بهذا الغافلون والمنحرفون. جواهر الأدب، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ٩٥/٢، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين،الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت، وفي البيت إشارة إلى الحديث الشريف من غير ذكر الشطر الثاني من البيت: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:"«أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ»"، أخرجه البخاري في صحيحه ٣٥/٨ ، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الشعر وما يكره منه، برقم: ٦١٤٧.

(٤) النابغة: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفاني المضري، وكنيته أبو أمامة، من أهل الحجاز شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء، وكان يضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة، وهو أحد الأشراف في الجاهلية، مات نحو ١٨ قبل الهجرة. الأعلام للزركلي ٥٥/٣.

" **لَهُمْ لِوَاءٌ بِأَيْدِي مَاجِدٍ بَطَلٍ ... لَا يَقْطَعُ الْخِرَقَ إِلَّا طرفه سامي**" [١][٢].

فقد ذكر اللغويون للفظ (الباطل) معاني عديدة تدور حول معنى ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه، "وبه سُمي الشيطان لأنه لا حقيقة لأفعاله، وكل شيء منه فلا مرجوع له ولا معول عليه، ومعنى البطل الشجاع، وسُمي بذلك لأنه يعرض نفسه للمتالف"[٣].

وقال الراغب: "الباطل نقيض الحق، وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه" [٤].

"حتى كلمة (بطل) التي تقال للشجاع لأنه يعرض نفسه للموت، أو لأنه يبطل دم من تعرض له أي يذهبه ويزيله" [٥].

فالذي يربط تلك المعاني جميعها هو الزوال والذهاب، فالشيطان سرعان ما يزول شره، ويظهر وهنه، و(البطل) يزول بتعريض نفسه للخطر.

ونظراً لذلك، قام القرطبي بالاستشهاد بمفهوم الباطل لدى العرب، وذلك من خلال استخدام بيتين من الشعر لتأكيد المعنى المذكور.

والمعنى: " ولا تخلِطوا الحق الذي بيَّنته لكم بالباطل الذي افتريتموه، واحذروا كتمان الحق الصريح من صفة نبي الله ورسوله محمد – ﷺ– التي في كتبكم، وأنتم تجدونها مكتوبة عندكم، فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم" [٦].

---

(١) البيت من (البسيط) وهو للنابغة الذبياني يخاطب زرعة بن عمرو العامري، والبيت في ديوان النابغة صـ٧٩، وشعراء النصرانية، جمعه ووقف على طبعة وتصحيحه: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ٧١٠/٥، الناشر: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٨٩٠ م.

(٢) تفسير القرطبي ٣٤١/١.

(٣) مقاييس اللغة ٢٥٨/١, لسان العرب ٥٦/١١.

(٤) المفردات في غريب القرآن ١٢٩/١.اللغة ٢٥٨/١.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ٦٩/١، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١٢٨/١بتصرف، التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير ٧/١،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

المثال الثالث: قال تعالى [وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾] [البقرة:٢٨٣].

يقول القرطبي: " معنى الرهن: احتباس العَين وثيقةً بالحق لِيُسْتَوْفَى الحقُ من ثمنها أو من ثمن منافعها عند تعذر أخذه من الغَرِيم، وهكذا حده العلماء، وهو في كلام العرب بمعنى الدوام والاستمرار، وقال ابن سِيدَهْ[١]: "ورهنه أي أدامه" [٢]، ومن رهن بمعنى دام قول الشاعر:

" **الْخُبْزُ وَاللَّحْمُ لَهُمْ رَاهِنٌ ... وَقَهْوَةٌ رَاوُوقُهَا سَاكِبُ**" [٣].

قال الجَوهَري[٤]: " ورَهَن الشيء رهناً أي دَام، وأَرهنت لهم الطعام والشراب أدمته لهم، وهو طعام راهن، والراهن: الثابت"[٥]، والراهن: المهزول من الإبل والناس، قال:

" **إِمَّا تَرَيْ جِسْمِي خَلًّا قَدْ رَهَنْ ... هَزْلًا وَمَا مَجْدُ الرِّجَالِ فِي السِّمَنْ**" [٦][٧].

---

(١) ابن سِيدَه: هو علي بن إسماعيل، المعروف بابن سِيدَه، إمام في اللغة وآدابها، ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها، كان ضريراً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، ومن مؤلفاته: المخصص، والمحكم والمحيط الأعظم، وشرح ما أشكل من شعر المتنبي، وغير ذلك، مات نحو ٤٥٨هـ . الأعلام للزركلي ٢٦٣/٤.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٣٠١/٤.

(٣) من شواهد الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ٦٨٢/٢، الناشر: دار القلم، دمشق، ولسان العرب ١٩٠/١٣، وهو بلا نسبة إلى قائله.

(٤) الجوهري: هو أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الفارابي، إمام اللغة، ومصنف كتاب "الصحاح"، وأحد مَن يضرب به المثل في ضبط اللغة، وفي جودة الخط كابن مقلة ومهلهل، أكثر الترحال ثم سكن نيسابور يدرس ويصنف، ويعلم الكتابة، وينسخ المصاحف، ومات سنة أربع مائة. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ٥٢٦/١٢،الناشر: دار الحديث- القاهرة،الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٥) الصحاح ٢٣٦٦/٦.

(٦) لسان العرب ١٩٠/١٣.

(٧) تفسير القرطبي ٤٠٩/٣.

فقد استدل القرطبي على أن الراهن من معانيه: المهزول من الناس والإبل، واستأنس لإيضاح هذا الرأي بقول شاعر أبهم ذكره، وهو الأُمَوِي[1].

فالمعنى اللغوي للفظ (الرهن) يدور حول معان متقاربة منها الثبات والدوام واللزوم والحبس، وذلك لأن المرهون محبوس عن التصرف فيه حتى يستوفي المرتهن حقه، وأيضاً تسميتهم المهزول من الناس والإبل راهناً، لأنهم جعلوه كأنه من هزاله يثبت مكانه لا يتحرك.

وبهذا يكون القرطبي قد لفت الانتباه إلى طريقة التعبير عند العرب عن مفهوم (الرهن)، حيث يستخدمونه للإشارة إلى الشيء الثابت والمحبوس الذي يتم احتجازه عند الدائن حتى يتم استرداد حقه.

والمعنى: "وإن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً يكتب، أو لم تجدوا أدوات الكتابة فرهان مقبوضة للدائن يستوثق بها حتى يصل إليه حقه، وهذا الرهن يقوم مقام الكتابة، فإن اتفق أن أحدكم ائتمن آخر على شيء فعلى المؤتمن أن يؤدي الأمانة كاملة في ميعادها، وليتق الله ربه فلا يخون في الأمانة فالله هو الشاهد الرقيب عليه وكفى به شاهداً" [2].

المثال الرابع: قال تعالى [**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**] [آل عمران:١٤].

يقول القرطبي: "القناطير جمع قِنطار، كَمَا قَالَ تَعَالَى: [**وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا**] [النساء:٢٠]، وهو العقدة الكبيرة من المال، وقيل: هو اسم للمعيار الذي

(١) الأموي: هو أبو مالك غِياث بن غَوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو،المعروف بالأخطل، يُعد من أشهر شعراء العصر الأموي، كان نصرانياً، وقد مدح خلفاء بني أمية في الشام، وأكثر في مدحهم، وكان شاعراً مصقول الألفاظ، حَسَن الديباجة، في شعره إبداع، له ديوان شعر، مات سنة ٧٠٨م. الأعلام للزركلي ١٢٣/٥.

(٢) التفسير الوسيط للإمام طنطاوي ٦٥٣/١، والتفسير الواضح ١٩٩/١.

يوزن به، كما هو الرطل والربع، ويقال لما بلغ ذلك الوزن: هذا قنطار، أي يعدل القنطار، والعرب تقول: قَنْطَرَ الرجل إذا بلغ ماله أن يوزن بالقنطار، وقال الزجاج: القِنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، تقول العرب: قَنْطَرْتُ الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القَنطرة لإحكامها، قَالَ طَرَفَةُ[١]:

" **كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَنَفَنْ حَتَّى تُشَادُ بِقَرْمَدِ**" [٢].

والقَنطرة المَعقُودة، فكأن القنطار عَقْدُ مال[٣].

تعرض القرطبي إلى تفسير قوله (وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ) فاستشهد بمعهود العرب، واستشهد أيضاً ببيت من الشعر الذي دل على عقد الشيء وإحكامه، فيكون معنى (القناطير المقنطرة) هي العقدة الكبيرة من المال، أي المقدار الكبير منه.

وقال ابن عطية:" و(وَالْقَناطِيرِ) جمع قنطار، وهو العقدة الكبيرة من المال" [٤].

وفصل الطبري بيان ذلك: "فذكر اختلاف المفسرين حول معناها، فبعضهم قال القنطار هو ألف دينار، وبعضهم قال ألف ومئتين، وبعضهم قال اثنا عشر ألفاً،

---

(١) طَرَفَة: هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، هو شاعر، جاهلي من أصحاب المعلقات، له ديوان شعر أشهر ما فيه المعلقة، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في نُدمائه، ثم أرسله بكتاب إلى عامله (المكعبر) في البحرين وعمان، يأمره فيه بقتله، بسبب ما ورد للملك من أن طرفة هجاه بأبيات من الشعر، فقتله المكعبر، وكان شاباً لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره عندما قتل، سنة ٦٠ قبل الهجرة. الأعلام ٢٢٥/٣.

(٢) البيت من (الطويل) وهو لطَرَفة بن العبد في ديوانه، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين صـ٢٢، الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الثالثة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، وتهذيب اللغة ٣٠١/٩ (قنطر)، ولسان العرب ١١٨/٥ (قنطر)، وجمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: علي محمد البجادي ٣١٢/١،الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، والكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٨٥/١،الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة،الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، وشرح المعلقات السبع، لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني ٩٧/١،الناشر: دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، وتاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي ٣٥٢/١ ،الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة: طبعة دار التراث الأول١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ومعنى البيت: أن هذه الناقة في تراصف عظامها وتداخل أعضائها كقنطرة رومي يحب إتقان العمل، وقد حلف أن تبنى من كل ناحية بدقة وإحكام، ويشاد بناؤها بأقوى المواد وأصلبها، فجاءت متينة قوية محكمة.

(٣) تفسير القرطبي ٣٠/٤.

(٤) المحرر الوجيز ٤٠٨/١.

وبعضهم قال هي أموال كثيرة لا حد لها، ومعنى المقنطرة أي المضعَّفة، فهي المال الكثير بعضه على بعض" [١].

وقال أبو جعفر النحاس: " القنطار في كلام العرب الشيء الكثير مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، والقنطرة من ذلك ومقنطرة به أي مكملة كما تقول آلاف مؤلفة" [٢].

وقد ورد هذا اللفظ أيضاً في قوله تعالى [وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا] [النساء:٢٠]، أي مهراً كبيراً وصداقاً لها.

"وقد ذكر الله تعالى هذه المبالغ من الذهب والفضة؛ لأنه كلما كثر المال في الغالب افْتُتِنَ به الإنسان، فإذا كانت قناطير مقنطرة من الذهب صارت الفتنة بها أشد"[٣].

وعلى هذا فالآية الكريمة تفيد أن القناطير المقنطرة هي المال الكثير دون تحديد له بحد، لأنه لو كان محدوداً قدرُه لم يكن اختلاف بين المفسرين.

وبهذا يكون القرطبي قد أشار إلى استخدام العرب لمصطلح (القناطير المقنطرة) للإشارة إلى الثروة الكبيرة دون تحديد القيمة المحددة لها.

والمعنى:" زُيِّن للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدّ، وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحبَّ الرياسة فيها، على اتباع محمد – ﷺ– بعد علمهم بصدقه" [٤].

---

(١) جامع البيان ٢٤٦/٦ بتصرف واختصار.
(٢) معاني القرآن للنحاس ٣٦٧/١.البيان ٢٤٦/٦ بتصرف واختصار.
(٣) تفسير غريب القرآن، لكاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري ١٤/٣، الناشر: دار بن حزم،الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨.
(٤) جامع البيان ٢٤٣/٦.

المثال الخامس: قال تعالى [مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ] [آل عمران: ٧٩].

يقول القرطبي:" والربانيون واحدهم رَبَّانِيٌّ منسوبٌ إلى الرب، وَالرَّبَّانِيُّ الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، مأخوذٌ من قول العرب: رَبَّ أمر الناس يَرُبُّهُ إذا أصلحه وقام به، فهو رابٌ ورباني على التكثير"

قال أبو عبيدة[١]:" سمعت عالماً يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة وما كان وما يكون" [٢].

"لقد اختلف النحاة في نسبة (الرباني)، فقيل: هو منسوب إلى الرب أي: الله – تعالى – لأن العلم مما يطاع الله – عز وجل– به، فدخلت الألف والنون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لِحْيَانِيٌّ: في النسبة إلى اللحية، وقيل: الرباني منسوب إلى "الرَّبَّان" وهو معلم الناس، وعالمهم السائس لأمرهم، مأخوذ من رب يرب إذا أصلح وربى، وزيدت فيه هذه النون كما زيدت في غضبان وعطشان، ثم نسب إليه رباني"[٣].

واختلف المفسرون في المراد بالرباني على أقوال: فمنهم من قال الفقهاء العلماء، وقيل الحكماء العلماء، وقيل الذين جمعوا العلم والبصيرة بسياسة الناس، وقيل من يربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره.

---

(١) أبو عبيدة: هو مَعْمَرُ بن المُثَنَّى، التيمي البصري النحوي العلامة، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أول من صنف غريب الحديث، وأخذ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء، وقال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، قدم بغداد في أيام هارون الرشيد، وقرأ عليه بها أشياء من كتبه، ولم يزل يصنف حتى مات؛ وتصانيفه تقارب مائتي تصنيف: فمنها كتاب مجاز القرآن الكريم، وغريب القرآن، ومعاني القرآن، وغير ذلك من الكتب النافعة، وتوفي سنة ٢٠٩م بالبصرة. إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ٢٧٦/٣، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ، وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس ٢٣٥/٥،الناشر: دار صادر – بيروت،الطبعة: ١٩٩٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٢٢/٤.

(٣) المفردات في غريب القران ٣٧٥/١، القاموس المحيط ٨٧/١،تاج العروس ٤٦١/٢.

وقال ابن عطية: " فجملة ما يقال في الرباني إنه العالم بالرب والشرع المصيب في التقدير من الأقوال والأفعال التي يحاولها في الناس" (١).

وقد رجح الطبري الجمع بين هذه الأقوال، فقال:" والرباني العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقيُّ لله، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَليه المقسطون من المصلحين أمورَ الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم، ودنياهم، فالربانيون إذًا، هم عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد:"وهم فوق الأحبار"، لأن"الأحبارَ" هم العلماء، و"الرباني" الجامعُ إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم" (٢).

وبهذا يكون القرطبي قد ذكر تعبير العرب عن لفظ **(الرباني)** واختلاف نسبته إما إلى الرب أو إلى الربان، إذا كان الاشتمال على الرب، فإن المعنى يكون متعلقاً بالله – عز وجل– والشرع، وإذا كان الاشتمال على الربان، فإن المعنى يكون متعلقاً بمعلم الناس الحلال والحرام، وقد رجح المفسرون أن يشمل اللفظ الاثنين معاً، كما أورده القرطبي، وهذا يعد نتيجة لاختلاف التنوع.

والمعنى: "ما ينبغي لأحد من البشر أن يُنزِّل الله عليه كتابه ويجعله حكماً بين خلقه ويختاره نبياً، ثم يقول للناس: اعبدوني من دون الله، ولكن يقول لهم: كونوا حكماء فقهاء علماء بما كنتم تُعَلِّمونه غيركم من وحي الله تعالى، وبما تدرسونه منه حفظًا وفهماً" (٣).

---

(١) المحرر الوجيز ٤٦٢/١.
(٢) جامع البيان ٥٤٤/٦ بتصرف واختصار.
(٣) التفسير الوسيط للإمام طنطاوي ١٦٠/٢ بتصرف واختصار، التفسير الميسر ٦٠/١.

المثال السادس: قال تعالى [وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ] [آل عمران:١٠١].

يقول القرطبي: " قوله تعالى: **[وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ]** أي يمتنع ويتمسك بدينه وطاعته، **[فَقَدْ هُدِىَ]** وفق وأرشد **[إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ]**،

قال ابن جريج : **"[يَعْتَصِم بِٱللَّهِ]** يؤمن به، وقيل: المعنى ومن يعتصم بالله أي يتمسك بحبل الله، وهو القرآن، يقال: أَعْصَمَ به واعْتَصَمَ، وتمسك واستمسك إذا امتنع به من غيره، واعْتَصَمتُ فلاناً هَيأت له ما يَعتصِم به، وكلُ متمسكٍ بشيءٍ مُعْصِمٌ ومُعْتَصِمٌ، وكلُ مانعٍ شيئاً فهو عَاصِمٌ، قال الْفَرَزْدَقُ(١):

" **أَنَا ابْنُ الْعَاصِمَيْنِ بَنِي تَمِيمٍ ... إِذَا مَا أَعْظَمَ الْحَدَثَانِ نَابَا**" (٢).

قال النَّابِغَةُ:

" **يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحَ مُعْتَصِمًا ... بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ والنجد**" (٣).

وقال آخر:

" **فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ ... وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلَا**" (٤).

---

(١) الْفَرَزْدَقُ: هو همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، هو شاعر عربي من النبلاء، من أهل البصرة، كان عظيم الأثر في اللغة والأخبار، حتى قيل: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس"، كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، وكان لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعداً، وله ديوان كبير مطبوع، وتوفي في البصرة وقد قارب المائة عام. سير أعلام النبلاء ٥٩٠/٤، ومعجم المؤلفين ١٥٢/١٣.

(٢) البيت من (الوافر) وهو للفرزدق في ديوانه ٩٩/١، وخزانة الأدب ٧٣/١، وهو مطلع قصيدة يناقض بها جريراً، والمعنى: العاصمين من عصمه إذا حماه ومنعه، والحدثان: حوادث الدهر، ونابه: أصابه.

(٣) البيت من (البسيط) وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ٢٢/١، والكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٨٥/٣، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، وتاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف ٢٨٧/١،الناشر: دار المعارف، ومعنى الخيزرانة: خشبة من شجر الخيزران، والأين: الإعياء، والنجد: العرق من التعب.

(٤) البيت من (الطويل) وهو لأوس بن حجر وهو في ديوانه ٥٣/١، والأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، تحقيق: الدكتور محمد علي دقة ٦٨/١، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية،عام ١٩٩٥، والمعنى: أشرط نفسه: جعلها علماً للموت، ومنه أشراط الساعة، ويقال:أشرط نفسه في ذلك الأمر؛ أي خاطر بها،

وعَصَمَهُ الطعام: مَنع الجوع منه، تقول العرب: عَصَمَ فلاناً الطعام أي مَنَعهُ من الجوع" (١).

فالمعنى اللغوي للفظ (عَصَمَ) يدل على إمساكٍ ومَنعٍ ومُلازمةٍ، والمعنى في ذلك كله معنىً واحدٌ، "ومن ذلك العصمة: أن يَعْصِمَ اللهُ – تعالى – عبده من سوءٍ يقع فيه، واعْتَصَمَ العبد بالله – تعالى – إذا امتنع" (٢).

"و(الاعتصام) الاستمساك بالشيء، وأصله من العصمة، والعصمة في كلام العرب بمعنى المنع، والعاصم المانع والحامي، واعتصم فلان بالشيء إذا تمسك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة" (٣).

والمراد بالإعتصام هو" التمسك بعهده وميثاقه الذي عهد في كتابه إلى خلقه، من طاعته وترك معصيته" (٤).

ويعرف الزمخشري الاعتصام بأنه:" التمسك بدينه والالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم" (٥).

ومن خلال هذه المعاني يتضح لنا أن التعريف الاصطلاحي لمصطلح الاعتصام يشكل جزءاً من المعاني اللغوية لهذا المصطلح، ولا غرابة في ذلك فالقرآن قد نزل بلغة العرب؛ وذلك تصديقاً لقوله تعالى[إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] [يوسف:٢].

فعند تفسير القرطبي لقوله (ومن يعتصم بالله)، استشهد بمعهود العرب في معرض توضيح المعنى اللغوي للفظ (يعتصم)، حيث ذكر معاني عديدة تتعلق

والمُعصِم: المتعلق بالحبل، والسبب: الحبل، أي مُعْتَصِمٌ بالحَبْلِ الذي دَلاَّهُ. الحيوان، لعمرو بن بحر بن محبوب الليثي، الشهير بالجاحظ ١٢/٥، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة:الثانية ١٤٢٤ هـ.

(١) تفسير القرطبي ١٥٧/٤.

(٢) مقاييس اللغة ٣٣١/٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن ٥٧٠/١، لسان العرب ٤٠٤/١٢.

(٤) جامع البيان ٣٤١/٩.

(٥) الكشاف ٣٩٣/١.

بالامساك والمنع، وجميع هذه المعاني متقاربة وتجتمع في التمسك بالله – تعالى – والتقرب منه، والامتناع به – سبحانه– عن كل شر، ثم استشهد بثلاثة أبيات شعرية ليعقب على المعنى المذكور، تحتوي على ذكر اسم الشاعر في البيتين الأولين، وأبهم اسم الشاعر في البيت الثالث، حيث استدل في البيت الأول على أن اللفظ (عاصم) يعني مانع، وفي البيتين الآخرين استدل على أن كلمتي (مُعْصِم) و(مُعْتصِم) مشتقتان من الفعل (اعتصام) بمعنى متمسك، فإنهما يحملان نفس المعنى.

والمعنى: " بعد أن وبخ – سبحانه – أهل الكتاب على كفرهم وصدهم عن سبيل الله، وأقام الحجج عليهم وأزال شبهاتهم، خاطب المؤمنين محذِراً لهم من إغوائهم وإضلالهم ؛ مبيناً لهم أن مثل هؤلاء لا ينبغي أن يطاعوا، ولا أن يسمع لهم قول، فهم دعاة الفتنة وحمالو حطبها، ثم أمرهم بعد ذلك بتقواه والتمسك بحبله المتين" (١).

المثال السابع: قال تعالى [وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا][النساء:٨١].

يقول القرطبي: " ومعنى **[بَيَّتَ]** زَوَّرَ وَمَوَّهَ، وقيل: غَيَّرَ وَبَدَّلَ وَحَرَّفَ، أي: بَدَّلُوا قول النبي – ﷺ– فيما عهده إليهم وأمرهم به، والتبييت التبديل،

ومنه قول الشاعر:

" أتوني فلم أرض ما بيتو ... وَكَانُوا أَتَوْنِي بِأَمْرٍ نُكُرْ"

" لِأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِرًا ... وَهَلْ يُنْكِحَ الْعَبْدَ حرٌّ لِحُرْ؟! " (٢).

---

(١) تفسير المراغي، للإمام/أحمد بن مصطفى المراغي ١٥/٤،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(٢) البيتان لعبيدة بن همام في مجاز القرآن ١٣٣/١، وتفسير الطبري ٥٦٣/٨ ، ونُسبا للأسود بن يَعْفُر في لسان العرب ٩٢/٧، وتاج العروس ٢٨٧/١٤، والبيتان في الكامل في اللغة والأدب ٢٤/٣، ولم ينسبهما،

وآخر:

" **بَيَّتَ قَوْلِيَ عَبْدُ الْمَلِي ... كِ قَاتَلَهُ اللَّهُ عبداً كفوراً** " (١).

وبيت الرجل الأمر إذا دبره ليلاً، قال الله تعالى: [**يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا**] [النساء:١٠٨]، والعرب تقول: أمرٌ بُيِّتَ بليلٍ إذا أُحْكِم" (٢).

فالمعنى اللغوي للفظ (بيت) يدور حول المفاهيم الخاصة بالزور والخداع والتغيير والتبديل، وكلها تشير إلى معنى واحد، وهو في الغالب يستعمل في سياق الشر للتلاعب والتضليل، والتبييت هو نسبة إلى البيتوتة، يقال بيت الأمر، للإشارة إلى تدبير الأمر خلال فترة الليل.

ذكر الإمام الرازي: "وفي اشتقاق التبييت من البيتوتة وجهان: الأول لأن أصلح الأوقات للفكر أن يجلس الإنسان في بيته بالليل، فهناك تكون الخواطر أخلى والشواغل أقل، فلما كان الغالب أن الإنسان وقت الليل يكون في البيت، والغالب له أنه إنما يَستقْصِي في الأفكار في الليل، لا جَرَمَ سُمي الفكر المُستقْصَى مُبَيَّتًا، والثاني: اشتقاقه من أبيات الشعر، لأن الشاعر يُدبرها ويُسويها" (٣).

وبهذا يكون القرطبي قد ذكر مفهوم كلمة (التبييت) في لغة العرب، حيث يعني التبديل، والمقصود هنا هو أن المنافقين قاموا بتغيير قول النبي – ﷺ – فيما أمرهم

والمعنى: هؤلاء قوم خطب إليهم فأجابوا، فلما أصبحوا عرضوا ذلك على سيدهم فرده، ورأى المخطوب عليه غير كفء لكريمتهم. معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ٤٣٥/٣، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس،طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(١) البيت من شواهد البحر المحيط في التفسير ٧٢٣/٣، والمعنى: غيَّرت قولي. الزاهر في معاني كلمات الناس، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ٤٤٤/١،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢٨٩/٥.

(٣) مفاتيح الغيب ١٥٠/١٠.

به، وقد استشهد القرطبي بأبيات شعرية لتأييد هذا المفهوم، دون أن ينسبها إلى صاحبها.

والمعنى: "أن هؤلاء المنافقين إذا كانوا عندك- يا محمد- وأمرتهم بأمر قالوا: طاعة، فإذا ما خرجوا من عندك وفارقوك دبر وأضمر طائفة منهم وهم رؤساؤهم غير الذي تقول، أى خلاف ما قلت لتلك الطائفة أو قالت لك من ضمان الطاعة، فهم أمامك يظهرون الطاعة المطلقة، ومن خلفك يدبرون ويضمرون ما يناقض هذه الطاعة ويخالفها" (١).

المثال الثامن: قال تعالى [مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ] [الأنفال:٦٧].

يقول القرطبي: "والإثْخَانُ:كثرة القتل، عن مجاهد وغيره، أي يُبالغ في قتل المشركين، تقول العرب: أَثْخَنَ فلانٌ في هذا الأمر أي بالغ، وقال بعضهم: حتى يُقهر ويُقتل، وأنشد الْمُفَضَّلُ(٢):

" تُصَلِّي الضُّحَى مَا دَهْرُهَا بِتَعَبُّدٍ ... وَقَدْ أَثْخَنَتْ فِرْعَوْنَ فِي كُفْرِهِ كُفْرَا" (٣).

وقيل: **[حَتَّىٰ يُثۡخِنَ]** يَتَمَكَّنُ، وقيل: الإثْخَان القوة والشدة" (٤).

" فلفظ (يثخن) في اللغة أصله من الثخانة وهي الغلظة والصلابة، ومعناه حتى يبالغ في قتل أعدائه، ويجوز أن يكون حتى يتمكن في الأرض، والإثخان في كل شيء قوته وشدته" (٥).

---

(١) التفسير الوسيط للإمام طنطاوي ٢٣٣/٣.

(٢) الْمُفَضَّلُ: هو أبو طالب المُفَضل بن سَلَمة بن عاصم، كاتب وأديب ولغوي وشاعر، من الكوفة عاش في العصر العباسي الأول، من مؤلفاته: البارع في اللغة، والفاخر في الأمثال، وضياء القلوب في معاني القرآن، والاستدراك على العين للخليل ابن أحمد، مات سنة ٩٠٣م. الأعلام للزركلي ٢٧٩/٧.

(٣) البيت من (الطويل)، وهو من شواهد الدر المصون ٦٣٨/٥،ونسبه إلى أبي عبيد الهَرَوي.

(٤) تفسير القرطبي ٤٨/٨.

(٥) لسان العرب ٧٧/١٣.

وبناءً على ذلك، يعتبر القرطبي قد ذكر مفهوماً للفظة (يثخن) عند العرب، حيث يتعلق هذا المفهوم بالضخامة والغلظة والثقل، ثم تم استعمالها بمعنى القوة والنصر والقدرة، والمراد بها هنا هو التفوق على العدو ومطاردته وقتله، مع التهويل في ذلك، كما أورد بيتاً شعرياً، ونسبه لقائله دليلاً على المعنى المقصود.

والمعنى: "ما كان من شأن نبي من الأنبياء ولا من سنته في الحرب أن يكون له أسرى يتردد أمره فيهم بين المن والفداء إلا بعد أن يثخن في الأرض، أي حتى يعظم شأنه فيها ويغلظ ويكثف بأن تتم له القوة والغلب، فلا يكون اتخاذه الأسرى سبباً لضعفه أو قوة أعدائه" (١).

المثال التاسع قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] [التوبة: ٣٠].

يقول القرطبي:" قوله **[يُضَاهِئُونَ]** يُشابهون، ومنه قول العرب: امرأةٌ ضَهْيأٌ للتي لا تَحيض أو التي لا ثَدْي لها، كأنها أَشْبَهت الرجال" (٢).

"فلفظ (يُضاهِئُونَ) في كلام العرب من المضَاهَاة، وهو مشاكلة الشيء بالشيء، يقال فلان ضَهِيٌّ فلان، أي: نظيره وشبيهه، واشتقاقه من قولهم امرأة ضَهْيأٌ، وهي التي لا يظهر لها ثدي وقيل: هي التي لا تحيض، سميت بذلك لشبهها بالرجال" (٣).

وبهذا يشير القرطبي إلى أن العرب استخدموا كلمة (يُضاهِئُونَ) للتعبير عن المشابهة والمشاكلة، وذلك من خلال ما هو متعارف عليه بينهم في تسمية الأشياء، والمعنى المراد هنا هو أن قول المعاصرين للنبي – ﷺ– من أهل الكتاب يشبه قول المشركين.

---

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني ٧٢/١٠، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة النشر: ١٩٩٠ م.

(٢) تفسير القرطبي ١١٨/٨.

(٣) معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٣٠/٣، ولسان العرب ٤٨٧/١٤.

والمعنى: " أن قول هؤلاء المعاصرين للنبي – ﷺ– من أهل الكتاب يشبه قول قدمائهم أي إنه كفر قديم فيهم غير مستحدث، أو يضاهي قول أهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله" (١).

المثال العاشر: قال تعالى [فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا] [الكهف:٦].

يقول القرطبي: " قوله **[فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا]** لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجوه منهم، أي لا تفعل، قال ابن هشام(٢):" باخع نفسك" مُهلِكٌ نَفسَك، فيما حدثني أبو عبيدة، قال ذُو الرُمة(٣):

" **أَلَا أي هذا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ ... بِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ**"(٤).

وجمعها بَاخِعُونَ وبَخَعَةٌ، وهذا البيت في قصيدة له(٥)، وقول العرب: قد بَخَعْتُ له نُصحي ونفسي، أي جَهَدْتُ له" (٦).

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٤٠٣/٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ٤٥٦/٣،الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

(٢) ابن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، جمال الدين، مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة ٢٢٨م، من أشهر كتبه السيرة النبوية المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق، وشرح ما وقع في أشعار السير من الغريب، وغير ذلك. الوافي بالوفيات ١٤٢/١٩، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ١١٥/٢، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

(٣) ذُو الرُمة: هو أبو الحارث، غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة، المعروف بذي الرمة، الشاعر المشهور قيل إنه لقب بذلك لأنه أتى (مَيَّة) صاحبته وعلى كتفه قطعة حبل وهي الرمة فاستسقاها فقالت اشرب يا ذا الرمة فلقب به، له ديوان مشهور، كانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق:عمرو بن غرامة العمروي ١٤٢/٤٨، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١١/٤.

(٤) البيت من (الطويل)، وهو لذي الرُمة في ديوانه، لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ٢٤٩/١، الناشر: مؤسسة الإيمان – جدة، الطبعة الأولى ١٩٨٢م – ١٤٠٢ه، والباخع: القاتل نفسه شوقاً، والوجد: شدة الشوق، ونحته: أي أبعدته، والمقادر: المقادير، والمعنى: يا أيها الذي بخع وجده نفسه بسبب شيء فات وأبعدته عن يديه المقادير. مقاييس اللغة ٢٠٦/١، ولسان العرب ٣١٢/١٥.

(٥) السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، جمال الدين ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ٣٠٢/١،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

(٦) تفسير القرطبي ٣٤٨/١٠.

فلفظ (باخع) في اللغة من (بَخَعَ) وهو القتل وما دَانَاهُ من إذلال وقهر، يقال: بخع الرجل نفسه، إذا قتلها غيظاً وغماً من شدة وجده بالشيء، وأصل معنى (البَخْع) الجَهْدُ، يقال بَخَعْت لك نفسي، أي أجهدتها[1]، وهذه المعاني متقاربة.

وهكذا أشار القرطبي إلى استخدام العرب لكلمة (باخع)، وهي عندهم بمعنى الهلاك والإجهاد للنفس بالغم والحزن، وقد استدل على هذا المعنى ببيت شعر ينسبه لذي الرُمة، مما يوضح المعنى ويؤيده، والمراد هنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم كان يعاني من حزن شديد حتى كاد أن يهلك من قلة إيمان قومه.

والمعنى: " لا تهلك نفسك أيها الرسول الكريم – ﷺ– هماً وغماً، بسبب عدم إيمان هؤلاء المشركين، وبسبب إعراضهم عن دعوتك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء" [2].

(1) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ١٣٤/٢، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة: الأولى، وتهذيب اللغة ١١٧/١، ومقاييس اللغة ٢٠٦/١.

(2) التفسير الوسيط للإمام طنطاوي ٤٧٠/٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات سبحانه هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد – ﷺ – وآله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد ،،، فهذه خاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وهي:

١– تظهر دراسة هذا الموضوع أهمية معرفة المفسر بمعهود العرب، حيث إن هذه المعرفة تُسهم في توجيه المفسر نحو التفسير الصحيح.

٢– إن معهود العرب له أثر بالغ الأهمية في مجال التفسير، وذلك بتوضيح المعنى، وإزالة اللبس عند السامع، والترجيح بين الأقوال.

٣– قد ظهر اهتمام القرطبي بتتبع عادات العرب في بيان المقصود بكلام الله تعالى، واتخذه أساساً عاماً لمنهجه في تفسير القرآن الكريم، فخرج تفسيره في أجمل صورة تفسيرية عرفها الناس.

٤– من خلال دراستي في هذا البحث ظهر استخدام القرطبي للتعبير عن معهود العرب بعدة مصطلحات.

٥– اعتمد القرطبي في العديد من المواضع على الاستشهاد بالشواهد الشعرية المتعلقة بمهعود العرب في القول.

٦– الرجوع إلى معهود العرب في القول لتفسير القرآن الكريم منهج سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون وأئمة التفسير.

٧– من خلال هذه الدراسة يتضح أثر الرجوع إلى معهود العرب في توجيه المعنى وتفسيره.

– التوصية:

توجيه الباحثين إلى المزيد من الدراسة في هذا المجال من خلال مراجع التفسير.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله.

١- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة:١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- الأساليب والإطلاقات العربية، لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٣- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، لأبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، تحقيق: الدكتور محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، عام النشر: ١٩٩٥.

٤- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٦- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر،بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٧- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

٩- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لسيد محمود شكري الألوسي البغدادي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٣١٤ه.

١٠- تاج العروس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١١- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق:عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٢- تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

١٣- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف ، الناشر: دار المعارف.

١٤- تاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي، الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة: طبعة دار التراث الأول١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٥- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٦- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٧- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي،الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

١٨- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

١٩- التفسير الواضح، للحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

٢٠- التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية،١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

٢١- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢٢- تفسير المراغي، للإمام/أحمد بن مصطفى المراغي،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٢٣- تفسير غريب القرآن، لكاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، الناشر: دار بن حزم،الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨.

٢٤- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م،

٢٥- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة:الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

٢٦- جامع البيان في تأويل القرآن،لمحمد بن جرير بن يزيد بن غالب الآملي، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: حمدو طماس، الناشر: دار المعرفة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٨- جمهرة أشعار العرب،لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: علي محمد البجادي ، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٩- جواهر الأدب، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت.

٣٠- الحيوان، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ .

٣١- خزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت سنـــ١٤١٨ـــة هـــ.

٣٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق:الدكتور أحمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٣٣- الديباج المُذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور،الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

٣٤- ديوان ذو الرُمة، لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان – جدة، الطبعة الأولى ١٩٨٢م – ١٤٠٢ه.

٣٥- ديوان طرفة بن العبد، لطَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي الشاعر الجاهلي، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الثالثة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٦- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: حمدو طماس، الناشر: دار المعرفة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٧- الرسالة، للشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر،الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

٣٨- الزاهر في معاني كلمات الناس، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن،الناشر:مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

٣٩- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٤٠- السيرة النبوية، لعلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤١- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ،الناشر: دار الحديث- القاهرة،الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٢- شرح المعلقات السبع، لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، الناشر: دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٣- شعراء النصرانية، جمعه ووقف على تصحيحه: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو،الناشر: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٨٩٠ م.

٤٤- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٥- طبقات المفسرين للداوودي، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي ٦٩/٢، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٦- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري،

تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٤٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة:الأولى ١٤١٦ هـ.

٤٨- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٩- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة،الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٠- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ،الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٥١- مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة:الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٥٢- المحرر الوجيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٥٣- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة: الأولى.
٥٤- معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٥٥- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق،الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٦- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.
٥٧- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.

٥٩- الموافقات، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٠- النكت والعيون،لأبي الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.

٦١- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، قدمه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.